البريد الأدبي

في السرقات الأدبية

كان المغفور له الشيخ حمزة فتح الله مولعا بالغريب في شعره ونثره، حتى لقد أصبح قوله الألغاز والمعميات، وأغرت هذه الحالة به صديقه شاعر الجمال المرحوم إسماعيل صبري باشا، فنظم قصيدة بأسلوبه وعلى طريقته في شكوى شركة «كوك» البحرية، وأعطاها إلى صديقه شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا فكتبها مزوراً خط الشيخ فتح الله الذي كان ينزع إلى محاكاة إملاء أهل المغرب، وبعث شيخ العروبة بالقصيدة إلى صحيفة «المؤيد» فنشرتها في صدرها، وأحدثت بطبيعة الحال دوياً، واستمرت رجفتها شهراً كاملا يتناقل الأدباء أبياتها معجبين لأنهم لا يكادون يفهمون منها شيئا لشدة ولع «عميد المفتشين» بالغريب وحوشي الألفاظ. ونذكر من هذه القصيدة العجيبة هذه الأبيات الثلاثة:

أيا يذا (القنصل) المزجي زواجره
صوب السفين وثوب السوس سرباله
أشكوك (كوكا) كي نيكف عن نكب
إذ كان كلا وكل مل كالكه
أباتني والجرشى حشوها ضجر
إن مس شقي خشب الفلك قلقله

ولما طالع الشيخ حمزة فتح الله القصيدة في صدر (المؤيد) أعجب بها إعجابا شديداً، وحين هنأه عليها أصحابه لم يقبل التهنئة فقد كان رجلا ورعا تقياً وإنما قال «هذا الكلام كلامي ولكني ما قلته». ولما أطلع على أصل القصيدة في إدارة الصحيفة قال «وهذا الخط خطي ولكني ما كتبته» وبقي الأمر سراً حتى توفي الشيخ حمزة وعندئذ أفشاه شاعر الحب والجمال!

ونحن إذ نروي هذه القصة إنما نريد منها أن نعرف متانة خلق رجل من أعلام البيان أبى عليه ورعه أن ينسب لنفسه كلاما لم يقله، وما كان ضره لو هو سكت، وبخاصة أن صبري باشا الشاعر لم يكن بالرجل الشنع الكثير الكلام، وقد أراد رحمه الله أن يداعب شاعراً آخر من شعراء زمانه، فأرسل إلى إحدى الصحف قصيدة ممهورة بتوقيعه - توقيع الشاعر لا توقيع صبري باشا - ثم لقيه من غده فهنأه بالقصيدة، فقبل الشاعر التهنئة شاكراً!

فذانك برهانان، تورع الشاعر في أولهما أن ينسب لنفسه ما لم يقله وما لم يكتبه، وفي الآخر لم يجد الشاعر بأساً من سرقة أدبية هبطت عليه من السماء!

وعندنا أن السرقات الأدبية تسامت إلى حد كبير السرقات المادية واتجاه التشريع إلى حماية الملكية الأدبية اتجاه محمود، وسارق «القصيدة» الذي لا يعاقب أنكى جرماً من سارق «الدجاجة» الذي يقضي في السجن عدة أشهر. ولو أننا بالغنا في حماية الملكية الأدبية لخلقنا جيلا من الأدباء مهذبا لا يتجانف لإثم سرقة الأفكار والآراء

وأحسبني أرسلت في «الرسالة» كلمة قبل بضع سنين أعتب فيها على الدكتور زكي مبارك أن نسب لنفسه هذه القولة «الشهرة كالمال بعضها حلال وبعضها حرام» وقلت له إن هذه المقالة البليغة إنما هي من كلام المرحوم الشيخ يوسف الدجوي، فرجع الرجل إلى الحق وكتب معتذرا ولم يكابر ولم يصاول.

وكان صديقنا الأستاذ كامل كيلاني - ولا يزال - يرى وجوب حفظ الحق الأدبي لصاحبه، ولو كان هذا الحق يتصل بملحة أو نكتة أو «قفشة» فلا ينسب المرء لنفسه كلاما سمعه من أحد، وإنما يرد القول لقائله على طريقة رواة الأحاديث، ولو أن هذه الطريقة اتبعت ما كذب أحد على نفسه ولا على الناس.

***

بيد أننا منينا في هذه الأيام بالسرقات الأدبية تترى علينا في صورة كتب تنشر أو مقالات تكتب، ولقد كنا نبصر في زمن مضى بالسرقات الأدبية تنصب على الموتى وحدهم، غير أننا نرى في هذه الآونة السرقات الأدبية قسمة قسمة عادلة بين الأحياء والأموات، وما نحب أن نذكر أسماء فما إلى التشهير قصدنا، ولكنا نريد أن ننبه وأن نذكر قبل أن يستشري الداء ويعيي العلاج شيئا بعيد المنال.